

نظرة نقدية حول الروايتين: "الحجاج بن يوسف" لجرجي

زيدان"ومحمد بن قاسم" لنسيم حجازي

د.عذرا پروين

الأستاذة المساعدة بقسم اللغة العربية

بجامعة بهاءالدين زكريا بلتان

Abstract:

Critical Review on the two novels: "Hajjaj bin Yousuf" by Jurji Zaidan and "Muhammad bin Qasim" by Naseem Hijazi

This article is an evaluation and comparative study of two famous historical novels "Hajjaj bin Yousuf" by Jurji Zaidan and "Mohammad bin Qasim" by Naseem Hijazi. Jurji Zaidan, being a Christian, has distorted the historical events of great historical personalities. Although the novel is named "Hajjaj bin Yousuf" yet in fact the protagonist is an imaginary character named 'Hasan' and the heroine 'Samiya' is also an imaginary one. The novel is pregnant with romantic incidents of the hero and heroine. The novelist has not satisfactorily depicted the historical images. However, some of the incidents are based on reality, e.g. the persecution and hard heartedness of Hajjaj bin Yousuf and Abdullah bin Zubair during the besiege of Makkah, as in the books of history even the Muslim historians have described the cruelties of Hajjaj bin Yousuf. It seems that he has focused more on the negative aspects of even the Umayyad caliphs like Abdul Malik bin Merwan and Waleed bin Abdul Malik.

Whereas Naseem Hijazi has portrayed the historical events realistically and has not included concocted stories in his novel. The Muslims' persecution by Raja Dahir is based on reality. Naseem Hijazi has superficially described the romantic incidents only to produce interest in the readers. But his hero seems to be a super human being who has a flawless personality. Moreover, the novel is loaded with a long address on the significance of Jihad which is considered a defect of the novel by the critics. Sometimes the reader feels as if he were reading a book on the history of Islam instead of a novel. On the whole, the novels of both novelists fulfil the prerequisites of a novel and contain the romantic element just to create interest in the readers.

Key Words: novel, Mohammad bin Qasim, Naseem Hijazi

(أ) نظرة نقدية حول الرواية: "الحجاج بن يوسف" لجرجي زيدان:

يذكر جرجي زيدان أن هذه الرواية "تتضمن حصار مكة على عهد عبدالله بن الزبير إلى فتحها، ومقتله وخلوص الخلافة لعبد الملك بن مروان، مع ما يتخلل ذلك من وصف مكة والمدينة"⁽¹⁾. والرواية كلها خلاصتها حب سمية لحسن، ينافسه الحجاج بن يوسف في حب سمية التي رفضت الحجاج... والنتيجة... الحجاز كلها بمن فيها أقل شأنًا من سمية... بل أحداث الدولة الإسلامية تسيّرهما سمية لتصل إلى حبيبتها: "إني لا أريد غير حسن، حسن خطيبي هو وحده حبيبي حياً أوميتاً"⁽²⁾.

وحسن يقول: "فإما أن أنقذها أو أموت في سبيلها"⁽³⁾.

ولنعد إلى هذين البطلين:

أ- سمية بنت عرفة الثقفي: لا أصل لها ولا وجود لها.⁽⁴⁾

ب- وحسن: شخصية خيالية لا وجود له على مسرح الحياة مطلقاً. هذان نسجت رواية جرجي عليهما. فبالتالي كل ما قاله عنهما، أو بلسانهما. وما ربط بهما من أحداث ثورة ابن الزبير لا يمت إلا الحقيقة التاريخية بصلة.

ومع ذلك نورد هذه الملاحظات حول رواية جرجي "الحجاج بن يوسف":

1- جعل من أبطال روايته التي تحمل "تاريخ الإسلام" عزة الميلاء، وقال عنها: وكانت جميلة الوجه، ظريفة اللسان، كريمة الخلق، سخيّة النفس، لا يقدم قادم إلى المدينة إلا التمس أن يراها ويسمع غناءها. وكان العرب يومئذ لا يعدون الغناء من الصنائع اللائقة بأهل الشرف، على أن عَزّة كانت مع ذلك ذات دين حسن، وهيبة ووقار، إذا جلست للغناء في حفل عام، أنصت لها الحاضرون وكأن الطير على رؤوسهم.⁽⁵⁾

هذا الثناء على عَزّة الميلاء.. قاله عنها طويس المغني⁽⁶⁾ فهي شهادة مغني معجب بمغنية وأورد هذه الشهادة بحقها صاحب الأغاني، فقال:

"أقدم من غنى غناءً موقعاً في الحجاز، كانت تضرب بالعيدان والمعازف، إقامتها بالمدينة، وهي مولاة للانصار، وكانت وافرة السمن، جميلة الوجه، لقبّت بالميلاء لتمايلها في مشيتها.. قال طويس: هي سيدة من غنى من النساء، مع جمال بارع، وخلق كريم، واسلام لا يشوبه دنس، تأمر بالخير وهي من أهلها، وتنهاي عن السوء وهي مجانية له".⁽⁷⁾

فشهادة طويس هذه لم يقلها غيره، ولا ندري ما مقدار صحتها؟!..

وقول جرجي: "لا يقدم قادم إلى المدينة إلا التمس أن يراها ويسمع غناءها" هذا يشمل جميع الحجيج الذين يزورون المدينة المنورة في حجهم أي زائرورسول الله صلى الله عليه وسلم. فهل هذا صحيح؟ هل صحيح أن الصالحين المؤمنين، والأولياء المحبين لرسول الله.. على مَرّحياة عَزّة.... ما أمّوالمدينة إلا التمسوا أن يروها، وأن يسمعوا غناءها؟!..

وقول جرجي: "إذا جلست للغناء في حفل عام، أنصت لها الحاضرون وكأن الطير على رؤوسهم..". وصاحب الأغاني لم يذكر مطلقاً أنها غنت بحفل عام كأنها كوكب الشرق أم كلثوم... بل كان يزورها عمر بن أبي ربيعة وطويس... أناس من طبيعتها.... يزورونها في دارها ويسمعون منها... "وكان الطير على رؤوسهم"... وهؤلاء معظمهم من "المختئين" كما يذكر جرجي نفسه في الصفحة الثامنة:

وهذه صورة طيبة رائعة للمجتمع في صدر الاسلام، أخذنا جزئية ضيقة وعممناها؟!!!.

2- وفي الصفحة 18 بدل زيارة مقام الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ذكر الفيوضات والأنوار والأحوال الراقية في حضرته صلى الله عليه وآله وسلم، ركز جرجي في الفصول الاولى على المخنثين والمغنيات في المدينة المنورة، ثم قال على لسان حسن بعد أن جاء عزة الميلاء: "اني أحب فتاة من أهل المدينة، ولكنني لا أعرف منزلها ولا أدري أ مقيمة هي هنا أم سافرت إلى بلد آخر، قالت - عزة - : ما اسمها؟ قال: اسمها سمية بنت عرفجة الثقفي".

- واشتد هيام حسن بسمية "وخفق قلبه وهوفكر في لقيائها، وشقَّ عليه أنه لا يستطيع مخاطبتها أمام أبيها لكي يبثها شوقه وهيامه..."، ص: 20. ودخل حسن إلى دار عشيقته سمية دون استئذان، لأن الشوق أعمى بصيرته، فوقف مبهوراً وقلبه يخفق، والشوق يدفعه إلى رؤيتها.... ولكن جاء في القرآن الكريم ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾⁽⁸⁾

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إِنَّمَا جَعَلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ"⁽⁹⁾

يقول الدكتور مأمون فريز جزار: "إن من البدهي ألا نجد تفسيراً إسلامياً للتاريخ في روايات جرجي زيدان، ذلك لأن هذا التفسير لا يصدر إلا عن كاتب آمن به، وجرجي زيدان صاحب عقيدة مختلفة عن العقيدة الإسلامية".⁽¹⁰⁾ كيف لا وسمية يتحدث بجمالها أهل المدينة؟! وكان أبوها يريد أن يتجر بذلك الجمال فيزوجها بحاكم أو أمير فيكسب بزواجها منصباً أو مالاً.⁽¹¹⁾

ويقول جرجي في الصفحة: 49، عن سمية: فنهضت ومشت وهي صامته تمسح عينيها بكمها حتى أتت حجرتها فدخلت وأقفلت الباب ثم استلقت على فراشها وقد تمثل لها عظم الارتباك المحيط بها والخطر الذي يهدد خطيبها، فأظلمت الدنيا في عينيها وأطلقت لدمعها العنان، ثم استرجعت رشدها وفكرت

في أمرها وأمر أبيها وما تعرضت له بسبب حبها لحسن، فجعلت تناجي نفسها قائلة: كيف تعلقت بهذا الرجل الغريب وفي تعلقي به خطر على حياتي وحياته؟. ومن ألفاظ الغرام والصور المضحكة في رواية تحمل عنوان " روايات تاريخ الاسلام":

- سمية مشهورة بجمالها وتعلقها ولطفها... ص: 52.
- سكينه بنت الحسين اتخذت أشعب الطماع مضحكاً لها.. ص: 54.
- أمرته - أمرت أشعباً - سكينه لذنب ارتكبه بين يديها أن يقعد على بيض حتى يفقس وقد مضى عليه أيام وهو على هذا الحال، ص: 55.
- حضن بيضاً مرة حتى فقس وخرجت فرارجه فملأت الدار وهي تسميها (بنات أشعب) ص: 57.
- فتقطع قلب حسن، ومدّ يده فأمسك أناملها، وهي أول مرة قبض فيها على تلك الأنامل فأحسن برعشة تملكته، وقال لها: ماذا؟ قولي يا سمية، يا مالكة قلبي، هل تخافين عليّ أحداً في هذه المدينة أيضاً؟ إنك مادامت لي لا تحبين سواي لست أبالي بعد ذلك اذا كان أهل الارض كلهم أعدائي. ص: 64.
- ممن تخافين عليّ؟ فأريك دمه مسفوكاً ولو كان حوله جيش جرار قولي.. ص: 64.
- وعند لقاء الحبيبين: وكان قلب حسن في اثناء ذلك يضرب ضربات سريعة مخافة أن يرمى من الحبيبين ما يحجله أو يهيج غيرته، وملتقى الحبيبين على هذه الصورة تميل النفس إلى رؤيته ولا سيما عند أهل الغرام فلا عجب اذا اختلج قلب حسن واصطكت ركبته واقشعريدنه. ص: 49.
- قال جرجي على لسان بطله الخيالي حسن: "فإما أن أنقذها أو أموت في سييلها". ص: 105.

- سمية لحسن: "أنت هومنقذي من أحزاني ومتاعبي أنت وحدك معيني على قهر ذلك العاتي وانقاذى منه". ص: 132.
- فثارت الحمية في رأس حسن، وهان عليه لقاء الالوف تفانياً في الدفاع عنها، فقال: لا عاش من يمسك بسوء وأنا حي"، ص: 141.
- وبينما حسن وسميت ساجان في ملكوت المناجاة. ص: 142.
- إني ذهبت شهيداً في سبيل هواك. ص: 143.
- حبيبي.. روجي.. نيتي.. ماذا أصابك؟ تجرّعت السم ياساً من حياتي، ص: 152.
- أقسم لها بحبها. ص: 153.
- فثبتت بصرها في حسن وثبت هوبصره فيها اكتفيا بتفاهم اللواظ، ص: 154.
- من العبارات التي يكررها جرجي: خفقان القلب، ص: 141.
- اصطكت ركبته، ص: 141، 161، ارتعدت فرائصه، ص: 141، اقشعر بدنه، ص: 141، ولواعج الغرام في كل رواية. وكل ذلك يحمل اسم "روايات تاريخ الاسلام!!".
- 3- قال عن الحسين رضى الله عنه "المقتول ظلماً وقال على لسان حسن: "كنت من التوابين الذين ندموا على تخلفهم عن الحسين بن علي، حتى قتل ظلماً في سهل كربلاء" ص58.
- أثارة الفتنة من جديد، لترسيخ الخلاف، ولتعميق الهوة لصالح من؟
- 4- ما سمعنا من انسان من أهلها أنه ملّها، وما سمعنا من زائر أنه ملّها وفيها بركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. وما سمعنا من جرجي أن أحد أبطاله ملّ الإقامة في دير بين جدران أربعة، بل سمعناه يؤكد أن سلمى بنت حجر بن عدى في الرواية السابقة "غادة كربلاء" فرحت بدير وأعجبت بما شاهدته فيه، وأرادت الحياة فيه للابتعاد عن المظالم حيث الهناءة والطمانينة في الاديرة؟؟؟.

5- جعل جرجي من أبطاله أشباحاً يتنقلون دون رقيب من معسكر ابن الزبير إلى معسكر الحجاج. وما ذلك إلا ليسيروا الاحداث كيفما شاءوا؟!
6- كما وصف جرجي عبدالله بن الزبير... البطل المسلم الذي أمضى شبابه في الجهاد في سبيل الله.. وانتصر في شمال افريقية، والمشهور في إيمانه العميق العميق، بكلمة "ملحد"، ص: 122، وهذه الكلمة غنية عن التعليق بحق بطل مسلم مجاهد.

7- قال جرجي ان عبدالمملك قال للقرآن الكريم "هذا فراق بيني وبينك" ص: 128. وجرجي في كتابه " تاريخ التمدن الإسلامي: 78/4، 79 يقول في هذا الصدد أيضاً: "أما عبدالمملك فكان يرى الشدة ويجاهر بطلب التغلب بالقسوة والعنف ولوخالف الدين، لانه صرح باستهانة الدين منذ ولي الخلافة.. ذكروا أنه لما جاؤوه بخبر الخلافة كان قاعدا والمصحف في حجره فأطبقه وقال: هذا آخر العهد بك، أو: "هذا فراق بيني وبينك" فلا غرو بعد ذلك اذا أباح لعامله الحجاج أن يضرب الكعبة بالمنجنيق، وأن يقتل ابن الزبير ويحتز رأسه بيده داخل مسجد الكعبة، وظلوا يقتلون الناس فيها ثلاثاً وهدموا الكعبة وهي بيت الله عندهم وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها".

أ- والحقيقة التاريخية تقول:

حاصر الحجاج الكعبة لأن ابن الزبير احتفى بها والتجأ إليها بعد أن ترك المدينة المنورة فلكون ابن الزبير لائئذاً بالكعبة المشرفة اضطر إلى نصب المنجنيق مع تحزُّز عن رمي الكعبة، فحوّل وجهة المنجنيق إلى الزيادة التي زادها ابن الزبير فيها.. (انظر كيف غير المؤلف مجرى الحكاية فصدر الباب بالإستهانة بالقرآن والحرمين).⁽¹²⁾

ب- أما أن عبدالمملك قال للقرآن الشريف: "هذا فراق بيني وبينك" فحقيقته أن عبدالمملك كان قبل الخلافة ناسكاً منقطعاً إلى العبادة لا يشتغل بشيء من الدنيا، قال نافع: ما رأيت في المدينة أشد نسكاً وعبادة من عبدالمملك، ولما سألوا

ابن عمر إلى من نرجع في الفتوى بعدك؟ قال: "ولد مروان"، وكان يقول ابن الزناد: الفقهاء في المدينة سبعة أحدهم عبدالمملك، وقال الإمام الشعبي ما جالست أحداً إلا وجدت عليه الفضل إلا عبدالمملك بن مروان: السيوطي في تاريخه للخلفاء، فلما جاءت الخليفة وهويقرأ القرآن الكريم تصور خطورة الامر وأن مثل هذا العبء لا يمكن الانقطاع إليه، فقال تحشراً: هذا آخر العهد بك، أي الآن لا يمكن الانقطاع إلى العبادة وقراءة القرآن الكريم كما كان دأبي أولاً، وليس هذا على سبيل الاستهانة بالدين مطلقاً. والتاريخ يشهد اشتغال عبدالمملك بالفرائض والسُنن فيما بعد، فهو يصوم ويصلي ويحج، وهو الذي حج بالناس سنة 75هـ، وهو الذي كسا الكعبة الديباج، فهل هذا صنيع من يريد الاستهانة بالحرم؟!؟.

ج- وقال جرجي "ويحتز رأسه بيده داخل مسجد الكعبة"، هذا الكلام غير موجود لا في الطبري ولا عند ابن الأثير... بل ذكر الطبري أن عبدالله بن الزبير أصيب في الحجون وقتل هناك، وما احتز رأسه داخل الكعبة.

د- وقال جرجي: "وهدموا الكعبة"، والواقع أن الحجارة نالت الزيادة التي زادها ابن الزبير، ولما كانت متصلة بالكعبة نالت الاحجار من الكعبة، ولكن كان أول ما فعله الحجاج بعد ما استتب القتال أمره بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم كما نصَّ عليه ابن الأثير، فهل كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وهدم الكعبة شيء واحد؟!؟.

8- ويذكر جرجي في الصفحة 123، أن الحجاج قتل 120,000 ووجدوا في السجون 33000 بعد موته.

وجرجي يركّز على "جوريني أمية": "حتى في أيام معاوية فإنه أرسل بسر بن أرطاة، وأرسل معه جيشاً ويقال أنه - أي معاوية - أوصاهم أن يسيروا في الأرض ويقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي ولا يكفُّوا أيديهم عن النساء والصبيان". (13)

وعاد جرجي لما رأى أن المصادر التاريخية الموثوق بها لا يوجد فيها ما يوافق هواه جنح إلى الأغاني ونقل أمر معاوية بقتل النساء والصبيان، ثم اعتذر عن معاوية بأن المظنون خلاف ذلك لحلمه ودهائه.. ويكفيها القول ان الاغاني من الكتب التي لا يؤخذ بها ولا يلتفت إليها مطلقاً من الناحية التاريخية، وان كنا لا ننزه بسر من القتل والسفك، ولا ننزه أبا مسلم الخراساني الذي قتل ما يزيد عن ستمائة ألف وهذا باعتراف جرجي.⁽¹⁴⁾

فينتحل لذلك عذراً ويحسبه من طبيعة السياسة، فلا عذر لهذا ولا لذلك. ورَكِّز أيضاً على ما أسماه "بجور العمال": يقول جرجي عن عمال بني أمية: "وإذا أتى أحدهم بالداهم ليؤديها في خراجه يقتطع الجابي منها طائفة، ويقول: هذا رواجها وصرفها"⁽¹⁵⁾، واستند في الهامش على كتاب الخراج لأبي يوسف في الصفحة 62.

يقول العلامة شبلي النعماني (رئيس جمعية ندوة العلماء في الهند) مخاطباً جرجي: "أيها المؤلف! أليس لك رادع من ديانتك؟ أبتجرت على مثل هذا الكذب الظاهر، والمين الفاحش جهرة؟ فإن القاضي أبو يوسف ماتكلم في شأن عمال بني أمية بنت شفة، وانما ذكر ذلك تحذيراً ونصيحة لهارون الرشيد من عماله وإساءتهم العمل في جباية الخراج. الله أكبر! هل سمع احد بأعظم من هذا التدليس والتلبيس؟ يحذر القاضي أبو يوسف الرشيد الخليفة المسلم من جور أحد من العمال، فيأخذ جرجي أقواله وينقلها على عمال بني أمية؟! ويستمر في كذبه في أمور كثيرة اكتفينا منها بما سبق".⁽¹⁶⁾

ومما يذكرها - استطراداً - بمناسبة ذكر جرجي لبني أمية، ورسمه الصورة المشوهة عنهم، أن جرجي حكم بكفر الوليد⁽¹⁷⁾، وأنه أمر بالمصحف فعلقوه، وأخذ القوس والنبيل وجعل يرميه حتى مزقه وأنشد:

أتوعد كل جبار عنيد - فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا لاقيت ربك يوم حشر - فقل لله مرقني الوليد

ونقل هذه الرواية عن الاغاني، فهي من خرافاته، ومعلوم أن صاحب الأغاني ديانته شأن بني أمية والخط منهم. وأما الايات فأثر الوليد ظاهر عليها، ومن له مسكة بالادب يشهد أن نسجها غير نسج الاوائل، قال العلامة الذهبي - وهو مرجع الرواية -: "لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة..". وإن شرب خمراً كما يذكر صاحب الاغاني، فهذا لا يسمح به المناخ العام في حينه مطلقاً، وإن فعله سرّاً من علم به؟!!!.

ذكر صاحب العقد الفريد ما ينبئ عن تعظيم الوليد للقرآن المجيد، وتفخيمه شأنه، وحث الناس على حفظه وتعهّده، قال صاحب العقد: 258/2: "شكا رجل من بني مخزوم ديناً لزمه، فقال الوليد أقضيه عنك إن كنت لذلك مستحقاً، قال: يا أمير المؤمنين، كيف لا أكون مستحقاً في منزلتي وقرايتي؟ قال: قرأت القرآن؟ قال: لا، قال: فادن مني فدنا منه فنزع العمامة عن رأسه بقضيب في يده فقرعه قرعة وقال لرجل من جلسائه: ضم إليك هذا العليج ولا تفارقه حتى يقرأ القرآن، فقام اليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين اقض ديني، فقال له أتقرأ القرآن؟ قال: نعم . باستقرأه عُشرًا من الانفال، وعشرًا من براءة فقراء، فقال: نعم نقضي دينك وأنت أهل لذلك".

وهكذا نرى أن الوليد يسخط على من لا يقرأ القرآن، وجرجي يرى أن الوليد على القرآن ساخط، دون أن يتحقق من رواية وردت في كتاب أدب شهادات المؤرخين فيه معروفة، فهو الذي يأتي بالغرائب والاعاجيب بحدثنا وأخبرنا؟!!!.

إن أحب جرجي فئة جعل الخطأ محصوراً في من ارتكبه وجعل قومه غير مسؤولين عن أوزاره، وإن سخط على فئة وأراد الدس كعادته، جعل الخطأ قاعدة يعممها على قوم من أخطأ بلا استثناء.

والحاصل لوخصّ جرجي رجلاً أو رجلين من بني أمية بالمطاعن - كالحجاج وخالد القسري - لاعترفنا به، ولكن سوء المكيدة، وخبث طوية جرجي أنه يجعل الفرد جماعة، والنادر عاماً والشاذ مطرداً.⁽¹⁸⁾

9- وقال جرجي في الصفحة: 112: "وكان بنوأمية قد اقتبسوا نظام الحرس من الرومان، وتوَّخَّاهم عمالهم إرهاباً للناس..". نلاحظ هنا عبارة "إرهاباً للناس" التي دسَّها جرجي، والتاريخ يقول: اتخذ معاوية نظام الحجاب بعد حادثة الخوارج مع علي ومعاوية وعمرو بن العاص وذلك خوفاً على نفسه وتلافياً لازدحام الناس على بابيه، ولشغلهم اياه عن النظر في مهام الدولة.

10- وفي الصفحة 138 يشوّه جرجي قصة عبدالله بن الزبير مع أمه أسماء ويفقدها روحها البطولية، بطولة الابن، وبطولة الام العجوز.

11- بطل جرجي الخيالي "حسن"، "رغم شهامته وبطولته وشجاعته وحميته. إلا أنه لا يشترك في معركة لاهنا ولا هناك، بطولاته في (تاريخ الاسلام) فردية من أجل حبيبته. هكذا أراده جرجي، بطلاً خيالياً حياته وعزيمته لحبيبته: "اني ذهبت شخصياً في سبيل هواك!!".

12- وخاتمة الرواية كالعادة.. لقاء الحبيين.. لقد تم زواج حسن بسمية في حفل كبير في المدينة المنورة فيه "مجون!!".

ان صورة المدينة المنورة في ذهن وفكر المسلم، صورة طهر وصفاء وإيمان" ففيها مقام المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، الذي تحفوا اليه القلوب، وتحن اليه الارواح، وتعشقه النفوس، وبكلمة واحدة يدسها ويفترها خيال جرجي يشوه هذه الصورة الحقيقية المثالية، انها كلمة "مجون"... وكيف لا ومرجعه "الاغاني"!!؟⁽¹⁹⁾.

مع ذلك المعايير والأدلة بتشويح التاريخ الاسلامي يستشهد جرجي زيدان بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية. ويمدح بوصف العبادة عبدالمملك بن مروان وعبدالله بن الزبير ومحاسن وإكرام الضيوف أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

(ب) نظرة نقدية حول الرواية "محمد بن القاسم" لنسيم حجازي

هذه الرواية مزيج بالتاريخ والتخيل يعرض الروائي فيها بطولة محمد بن القاسم ومحبته للإسلام التي هي ضرورية لترتيب مجتمع الإسلامي ويدور موضوع الرواية حول إغاثة المظلومين وطاعة الأمير وممثلو الرواية من التاريخ (بطول التاريخ) نحو: محمد بن القاسم، الحجاج بن يوسف، وليد بن عبد الملك، سليمان بن عبد الملك، صالح أبو الحسن، (راجا داهر)، (دليب سنك)، (بيم سنك)، (لادهي راني) والمناطق التي تذكر في الرواية حقيقي . نحو سرانديب، دمشق، بصرة، مكران، (ديبل)، (برهنم آباد)، (ارور) وملتان وواسط- والأمر أن قصة الرواية مطابقة بالتاريخ باعتبار زمنها ونرى العوامل لهجم على السند مطابقة برأى أكثر المؤرخين. فيذكر مثلاً الدكتور حميد الدين هذه الحكاية في لفظه:

في ذلك الزمن عاش المسلمون في جزائر (لنكا) ولما مات أحد أرسله مع اهله إلى بلاد العرب ولما وصلوا باخرتهم قريب من (ديبل) اختطفهم المختطفون مع اموالهم وأسرههم - وفي الوقت نادى امرءة واه حجاجا لما أخبر الحجاج غضب وكتب إلى (راجا داهر) أن يأخذ هؤلاء المختطفون ويعاقبهم ويرد النساء والصبيان.

فأجاب (راجا داهر) إنه ليس في أمرى ولا في اختياري ولا استطيع أن أخذهم فتعال خذهم.⁽²⁰⁾

فيكتب الشاه معين الدين احمد:

"أراد الحجاج أن يفتح السند بمحاذة التي حدثت في زمن الوليد وتفصيلها أن التجار أتوا إلى (لنكا) ومات أحدهم ويريد راجا (لنكا) أن يكون صديق المسلمين فأرسل ميثته مع أهله إلى بلاد العرب وأرسل إلى الوليد هدايا وفي الباخرة الحاجون واختطفهم المختطفون في ساحل (ديبل) وجعل النساء أسارى ونادى احدى النساء - واه حجاجا فأخبر حجاج متأثر وقال أتيك وكتب إلى (راجا داهر) أن ترد النساء وقال هو هذا ليس في اختياري".⁽²¹⁾

ويكتب مولانا اعجاز الحق قدوسي في عوامل حرب السند- " (لنكا) يقال (سيلون) أيضا هنا يسكن التجار العرب وفي الزمن شاع صيت الوليد في العالم وكل البلاد يتمنى أن يكون حليفاً له حتى مات أحد التجار في (لنكا) فأرسله راجا (لنكا) مع أهله إلى بلده بالهدايا إلى الوليد في الباخرة- ومعهم الحاجون الذين اختطفوا في ساحل (ديبل) وأخذت أموالهم وفي أثناء ذلك نادى إحدى النساء واه حجاجاً وأخبر الحجاج بالرجال الذين لقوا ووصلوا إلى العراق فتأثر الحجاج وطلب من الوليد إجازة الجهاد في السند وكتب إلى (راجا داهر) ان يرد الرجال والنساء وضمن الأموال فأجاب (راجا داهر) أن هذا ليس في اختياري فلا أستطيع أفعل أي شيء". (22)

ويذكر علي كوفي هذه الحكاية:

"لما وصلت هذه الباخرة قازرون حدثت مخالفة وذهبوا إلى ساحل (ديبل) واختطف هنا المختطفون اسمهم نكامرة فقبضوا الباخرة مع الأموال وأخذوا النساء والصبيان اسيراً فقال جندي ملك سرانديب أن هذه كلها لخليفة الوليد لكن لم يسمعوا أي كلام وقالوا أيكم رجل ينجيكم منا فنادت امرأة يا حجاج اغثنا اغثنا فقال حجاج بعد ما سمع لبيك لبيك- فأخبر واسط اسعدى إلى رأيت تلك المرأة بعد فتح (ديبل) التي طويلة بيضاء". (23)

فذكر فيض عالم صديقي هذه الحكاية مفصلاً.

"أن بعض العرب يسكنون في سرانديب وجنوب ساحل الهند لمقاصد التجارة- لما ذاع صيت الاسلام أسلموا عشيرتهم فأسلمواهم هنا في سرانديب. فتأثر منهم الملوك فتمنوا أن يجعلوا حليفاً لخليفة وليد بن عبدالمملك ورأواهم يستخدمون التجار العرب المسلمون جسراً لإرادتهم حتى مات احد التجار ابوالحسن في ساحل (ديبل) على يد عامل (راجا داهر) واختطف أموال وهدايا التي أرسلت إلى الخليفة فأرسل نساءه مع الهدايا إلى الخليفة لأرضاء الخليفة لكن

اختطف (برتاب رائي) هذه القافلة وأخذ نساءهم وصبياهم أسيرا وأرسلهم إلى (راجا داهر) ". (24)

وهذه العوامل التي تسبب هجم السند مطابقة مع التاريخ يعنى اختطاف القافلة ونداء البنت واستئذان الحجاج من الوليد للهجم وهناك نرى ان يكتب فيض عالم الحوادث مطابقة مع الرواية واستخدام أسماءهم قريب مع الممثلين في الرواية نحو، أبو الحسن، (دليب سنك) و(برتاب رائي) لكن هنا ضرورة للبحث أنه من أخبر الحجاج لهذه الحكاية فيها نادت إمرة للحجاج لكن برع الروائي ويرى أن هناك سفينة فرت مع الرجال الذين وصلوا إلى الحجاج وأخبروه في هذه الحكاية ويذكر فيض عالم هذه الحكاية:

"هذا هو الحجاج بن يوسف يعوذ منه العدو وسيفه قاطع لكل مخرب العرب وعدو العجم وفجأة ينادى عند بابه: أيها الأمير! اختطفت القافلة من سرانديب بيد قطاع الطريق من السند قتل الرجال وسجنت النساء والصبيا ونادت امرة: ادركني يا حجاج وإني قاصد لها. وهو يقوم ولما سمع "يا حجاج" قال فجأة لبيك لبيك". (25)

وهناك أمر متخالف يتعلق مع الحجاج ومحمد بن القاسم يذكر الروائي أنه محمد بن القاسم ابن أخ الحجاج وهو صهره كما يكتب ابن خلدون. "يقرر حجاج ابن عمه محمد بن القاسم محمد بن الحكم بن أبي عقيل في ساحل السند مع ستة آلاف من الجيش". (26) ويتفق معه شاه معين الدين احمد ندوي:

"وهو يرسل ابن عمه محمد بن القاسم الثقفي الذي هو حاكم فارس مع ستة آلاف من الجيش إلى السند". (27) ويذكر شيخ محمد اكرام هكذا.

"وينتخب الحجاج ابن عمه عماد الدين محمد بن القاسم لقيادة جيش السند وكان عمره الآن سبعة عشر". (28)

ويذكر علامة ابن كثير: "ان محمد بن القاسم ابن عم الحجاج".
ويكتب الدكتور حميد الدين:
"امر الحجاج صهره محمد بن القاسم أن يهجم على السند". (29)
ويتقنه رأى فيض عالم صديقي:
"وهو يزوج محمد بن القاسم مع بنته وأرسله إلى السند". (30)
ويخالفه رأي الدكتور اعجاز الحق قدوسي:
"عين الحجاج ابن أخيه محمد بن القاسم الذي كان عمره الآن سبعة
عشر قائد الجيش إلى السند". (31)
الروايات الأولى محققة مثل الروايات الأخيرة لكن عندنا في كتب
الدراسية وفي الروية مذكورة أن محمد بن القاسم هو ابن أخ الحجاج وصهره.
ويذكر علي كوفي على هذا الجانب.
"لما استسلم السند إلى الحجاج عين عليها ابن أخيه محمد بن القاسم
عاملاً للهند الذي كان في بيت ابنته". (32)
ويعرض الروائي هذه العلاقة يعني محمد بن القاسم هو ابن أخ الحجاج
وزوجه مع ابنته وهي مطابقة مع ثقافة العرب يعني زواج البنت مع ابن الأخ
وهكذا زواج البنت مع ابن العم موجود في ثقافة العرب كما زوج رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ابنته مع ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه - وبعده
رحلة محمد بن القاسم مع جيشه وآلات الحرب -
ويذكر عبدالرحمن ابن خلدون والشاه معين الدين احمد ندوي: "ان
جيش محمد بن القاسم تشتمل على ستة آلاف".
ويذكر الدكتور حميد الدين في ألفاظه هذا العدد "وأرسل حجاج ستة
آلاف من الجيش الشامي لنصرة محمد بن قاسم". (33)
ويقول شيخ محمد أكرام:

"وصل محمد بن القاسم مع ستة آلاف من جيشه الي (ديبل) سنة 711 من ميلادية". (34)

ويتفق معه انوار هاشمي:

"يرحل محمد بن القاسم مع اثنا عشر ألفاً من الجيش في الطريق البري منهم ستة الآف شاميا وستة آلاف جنديا". (35)

ويخالفهم مولانا اعجاز الحق قدوسي كاتباً:

"أعطاه خمسة آلاف بطلا وخمسة آلاف مركبا ومعهم آلاف من الإبل الحملة سلعتهم". (36)

هناك اختلاف في عدد الجيش أنه يذكر اكثر المؤرخين ستة آلاف لما يكتب اعجاز الحق القدوسي أن الجيش خمسة آلاف ويذكر الروائي خمسة آلاف ويذكر انوار هاشمي ان عدد كل الجيش اثنا عشرة الف والناس وإن كانوا مخالفين لحجاج لكن في هجم السند متفقون وهذا ممكن أنه قد أرسل امير المؤمنين خمسة آلاف من الجيش لكن صاروا ستة آلاف لما وصلوا إلى بصرة والحجاج بنفسه كان يجمع الجيش لهذا الهدف ويمكن أن عدده اثنا عشر ألفاً لما خرجوا من بصرة ومعهم سلعة الحرب والمنجنيق خاصة المنجنيق اسمها عروس التي يحركها خمسمائة نفر .

ويكتب عنها الدكتور حميد الدين:

"قسم محمد بن القاسم جيشه في جزئين أحدهم ماشياً مع المدفع في طريق البحر وثانيهم راكبا معه". (37)

ويتفق معه شاه معين الدين احمد ندوي:

"لما وصل محمد بن القاسم وصلت معه سلعتهم التي كانت ترسل بطريق البحر فيها منجنيق اسمها عروس يحركها خمسمائة نفر". (38)

ويذكر على كوفي:

"وهناك منجنيق خاص بأمر المؤمنين اسمها عروس التي يحركها خمسمائة نفر". (39)

ويذكرها شيخ محمد أكرام:

حتى بالمنجنيق يحركها خمسمائة نفر. (40)

ويكتب انوار هاشمي:

"وأرسل حجاج معهم سلعة الحرب وفيها منجنيق بطريق البحر". (41)

ويكتب مولانا اعجاز الحق قدوسي:

"وأرسل معهم سلعة الحرب بطريق البحر للجيش وفيها منجنيق يرمى بها الحجارة على العدو". (42)

ويوافق معها سيد سليمان ندوي:

"والذي هجم الجيش الاسلامي في قيادة محمد بن القاسم سنة 93هـ هوجاء بطريق مكران لكن حصتهم الثانية جاءت بطريق البحر مع سلعة الحرب". (43)

وهذا أمر واقعي أن الجيش قد انقسم إلى جزئين الجزء الأول بطريق مكران والجزء الثاني وصل بطريق البحر ومعهم منجنيق اسمها عروس والتي يستخدم للمعارك العديدة كالسلاح المهم.

والذي يقود محمد بن القاسم الجيش وصل بطريق الأرض من شيراز ومكران وحاكم مكران قد انضم مع جيش محمد بن قاسم.

ويتفق معه مير علي شير قانع:

"وذهب معه حاكم مكران محمد بن هارون مع أنه مريض". (44)

ومعهم علي كوفي يكتب:

"رحل محمد بن القاسم من هنا إلى (ارمايل) ومعه محمد بن هارون في مرضه". (45)

وهذه الرواية موجودة في تاريخ السند.

"رحل محمد بن القاسم إلى (ارمن بيله) وهو يريد أن يذهب (محمد بن هارون) معه مريضاً فوافق به".⁽⁴⁶⁾

فوصل هذه القافلة إلى (ارمن بيله) وهناك جاء راجا (بهم سنك) لمحاربتهم مع عشرين ألفاً من الجيش كما يذكر الروائي.

ويكتب عنه فيض عالم صديقي:

"أرسل (راجا داهر) قائد جيشه (بهم سنك) باعانة عامل السند وهم الذين اختاروا مكانا لهم في حصن مشيد لكن هجم محمد بن القاسم وهزمهم".⁽⁴⁷⁾

ويذكر مولانا اعجاز الحق قدوسي هذه المعركة في ألفاظه:

"وهم الذين معه (محمد بن القاسم) حاصروا (ارمن بيلا) عاصمة (لسبيلا) وفتحوه".⁽⁴⁸⁾

وثبتت هذه الروايات والحكايات حقيقة هذه الرواية وظهر أنه محمد بن القاسم حارب مع جيش (راجا داهر) قبل ان يصل إلى (ديبل) ويريد (راجا داهر) أن يمنع جيش محمد بن القاسم في مكران كى ينهزموا لكن كان يتقدم بشجاعته وهمته ووصل إلى (ديبل) ويريد جيش (راجا داهر) وقائده (برتاب رائي) أن يتبعوا جيش محمد بن القاسم وهناك اختلاف في مدة المحاصرة لكن يتفق المؤرخون أن يبدأ الحرب.

لما سقط المنارة في حصنهم بمنجنيق اسمها عروس والظروف محدودة قبل سقوط هذه المنارة.

ويكتب مير علي شير قانع:

"خرج من الحصن (برهمن) (لطلب الامان) وقال لمحمد بن القاسم أعرف من كتبي أن هذه البلاد ستخضع تحت رؤية الاسلام وأنت فاتح تلك البلاد وأريد أن أهديك وهناك طلسم في علم المعبد لما يتكسر انهزم الحصن فيتفكر محمد بن

القاسم وقال صاحب المنجنيق اعطني عشرة آلاف درهماً فأخرب المنارة والعلم بثلاثة ضربات وإلا يكسر يدي". (49)

ويكتب مولانا اعجاز الحق قدوسي:

"ويضطرب المسلمون أن كيف يمكن أن يفتحوا المدينة حتى خرج (البرهمن) من الحصن وجاء في جيش محمد بن القاسم وقال يا امير طال الله عمرك نعرف من كتب النجوم ان المسلمون يفتتحون بلاد السند لكن بعد فتح المعبد هذا فعليك أن تحاول تهدم هذه المنارة والعلم التي يخفق عليها وهذا سر انتصار هذا البلد". (50)

ويوافق معه الدكتور حميد الدين:

"وعلم من الخبر أنه لا يمكن فتح المدينة من غير سقوط الرؤية التي تخفق على منارة الحصن لأنهم يعتقدون أن تحت العلم إله الذي ينصرهم". (51)

ويذكر انوار هاشمي هكذا:

"وعلم في أننا ذلك أن سكان الحصن يعتقدون على العلم الذي يخفق على منارته ومتى يسقط ينهزم فرمي عليه بالمنجنيق حتى سقط إلى الأرض وثبت من الروايات أن قصة الرواية تحتوي عليها وبعده ذكر تقدم الجيش وفتح (ديبل) ورحلته منها لكن هناك اختلاف شديد في تعيين عامل (ديبل) فالروائي والمؤرخون يتفقون على (جى رام) الذي اسمه الإسلامي ناصر الدين". (52)

لما ذكر مير علي شير قانع:

"يحافظ الأسارى المسلمين " جيلو" وأحسن اليهم وكان يبشرهم بالحرية فادعاه محمد بن القاسم وشاركهم في ادارة الحكومة مع حميد بن وداع زحدي". (53)

وهناك رواية نقلها مولانا اعجاز الحق قدوسي:

"عين عليها حميد بن وداع نُجدي عاملاً". (54)

وأخذ الرعاية باختلاف المؤرخين ويمكن اختلاف الاسم لكن حقيقى أن هناك عامل غير مسلم الذي صار مسلماً ولهذا سعى الروائي أن يعرض ممثله حاكم (ديبل) فذهب محمد بن القاسم إلى نيرون وهناك اختلاف في معركة نيرون بين المؤرخين ليس الاختلاف لفظاً وعباراً بل هم لا يتفقون على رأي واحد.

فيكتب شاه معين احمد ندوي في قصة نيرون:

"هناك نيرون قريب من (ديبل) وحاكمه صار حليفاً لمحمد بن قاسم- فوصل من (ديبل) إلى نيرون واستقبله بطلاقة وجهه ودعاهم إلى المأدبة. وأرعى أنعامهم وأعطاهم الهدايا".⁽⁵⁵⁾

ويوافقه مولانا اعجاز الحق قدوسي:

"لما وصل إلى نيرون فتح اهل المدينة أبوابهم وجاء حاكمهم إلى محمد بن القاسم مع الهدايا ودعاه إلى المأدبة".⁽⁵⁶⁾

واختلف فيض عالم صديقي معهم:

"وصل محمد بن القاسم من (ديبل) إلى نيرون وهي دار الخلافة له (راجا داهر) لما علم أن (ديبل) قد فتح فقام يستعد لمحاربتهم لكن صار نيرون مفتوحاً على يد المسلمين المجاهدين".⁽⁵⁷⁾

هناك ذكر المحاصرة والحرب في تحفة الكرام ويذكر في تاريخ ابن خلدون نيروز بدل نيرون ولا يذكر المؤرخون اسم هذا البلد إلا ابن خلدون ويمكن أن نقول هناك تضاد وقياس الروائي على احد الآراء وبعد نيرون وصل الجيش الإسلامي إلى (سيوستان) و(سيون) وبعض المناطق حتى وصل إلى السند وهناك اختلاف بين المؤرخين والروائي- يقول الروائي أنهم يعبروا النهر باليسر لكن يتفق أكثر المؤرخين أنه يزاحم رماة (راجا داهر)- وجعل الجيش الإسلامي الجسر من السفن وأرسله حتى وصل إلى الساحل المقابل وفرّ الرماة ويذكر زمن هذه المعركة في سنة 713ء ويتفق معه فيض عالم صديقي ويكتب:

"يذهب محمد بن القاسم إلى (برهن آباد) سنة 713م".⁽⁵⁸⁾

وفي حين يكتب شفيق بريلوي ورود محمد بن القاسم إلى السند:
"دخل الجيش الاسلامي في قياده الجري الموافق سنة 713م مطابقاً سنة
93 من المحجرة من طريق مكران".⁽⁵⁹⁾

فهناك مسافة بعيدة بين (ديبل) و(برهمن آباد) ويمكن وصل الجيش
الاسلامي مقابل جيش (راجا داهر) سنة 713م لكن يخالف مولانا اعجاز الحق
قدوسي وسنته المحجرية موافق لكن يخالف في سنة الميلادية فهو يذكر:
"حتى يحارب (راجا داهر) سنة 93 هـ مطابقاً سنة 712م وهويسعى أن
تبقى حكومته لكن ضرب احد على رأسه فمات وانبتت حكومته".⁽⁶⁰⁾
ونقول أن رأى المؤرخين فيه صواب لكن اخطأ مولانا اعجاز الحق
قدوسي في سنة الميلادية.

ويذكر الروائي محاربة بينهما وخطة الحرب وعدد الجيش وموت (راجا
داهر) ويذكر أن هناك مائتا فيل وخمسة آلاف من الجيش والجيش الماشي لكن
هذا كله متخالفة بين المؤرخين- كما يكتب الدكتور حميد الدين-

"وصل (راجا داهر) إلى ساحل السند مع خمسة آلاف من جيشه".⁽⁶¹⁾
يكتب مير علي شير قانع:

"خرج (راجا داهر) بعد أن منعه النجوميون مع الجيش العظيم فيه عشر
آلاف راكباً وثلاثين ألف ماشياً ومعه الفيل وهوراكب مع امتين احدهما تعطى
له كؤوس الشراب والأخرى علبة التنبول".⁽⁶²⁾

ويتفق معه شاه معين الدين احمد ندوي حيث قال:

"جاء (راجا داهر) لمحارته بكل عظمته وحشمته مع الافيال الكبيرة
وخلفه عشرة آلاف راكباً وثلاثين ألف ماشياً وهويركب على الفيل الأبيض مع
مائه".⁽⁶³⁾

ويقويه انوار هاشمي:

"جاء (راجا داهر) لمحاربة مع عظمته وحشمته وخلفه عشرة آلاف راكباً وثلاثين ألف ماشياً وهو يركب على الفيل الأبيض مع مائة". (64)

ويذكر مولانا اعجاز الحق قدوسي:

"العدد الكبير لجيش (راجا داهر) في هذا الحرب ستة آلاف من جيش (راجا داهر) ومعه مائة فيل". (65)

ولا يتفق المؤرخون في عدد واحد وعندهم اختلاف عشرة آلاف أكثرهم متفقون على اربعين ألفاً وهنا موجود رأي خمسين ألف وستين ألف .

وذكر الروائي خمسين ألفاً ويتفق المؤرخون على قتل (راجا داهر) في خريطة الحرب كلهم يذكرون أنه راكب على الفيل ولما يحرق سهام المسلمين جيشه ويحرب فيلهم حارب بشجاعة وقتل.

ويكتب فيه ابن خلدون:

"ويموت راكباً على الفيل بالرمي وفرت الأفيال وتقدم (راجا داهر) محارباً إلى الجيش الإسلامي وقتله مسلم بسيفه". (66)

ويذكر الدكتور حميد الدين:

"قاتل (راجا داهر) لكن قتل مجاهد عربي". (67)

ويقول فيض عالم صديقي:

"ومن اعظم الحروب حرب (برهمن آباد) فأمر محمد بن القاسم المهجم وإلى المساء انتهت قصة (راجا داهر) مع ثلاثين ألفاً من الجيش". (68)

وعندنا الرواية هذه التي تبين موت (راجا داهر) مع جيشه ويكتب شاه معين الدين احمد ندوي:

"ومات بطوله وأمرأه ومقاتلا بشجاعتهم حتى قاتل (راجا داهر) بسيفه في ميدان الحرب وقتل". (69)

وكتب انوار هاشمي هذه الكيفية.

"فمات حكامه ومائة حتى يتشجع (راجا داهر) فحارب وقتل". (70)

ويذكر مير علي شير قانع:

"فأمر محمد بن القاسم الرمي حتى دخل السهم في عنق (راجا داهر)
فمات". (71)

فنقول في نتيجة هذه الروايات أنه مات (راجا داهر) في ميدان الحرب
نعم هناك اختلاف هل هومات بالسيف أو بالسهم لكن هذا حقيقي أن موته
وقع في ميدان الحرب ويذكر الروائي موت ثلاثين ألف من الجيش برواية فيض
عالم صديقي.

وحدث بعد هذا الفتح مشكلة اخلاقية في زوجة (راجا داهر) (لادى
راني) وبعض المؤرخين عرضوها كحادثة فاضحة على محمد بن القاسم وعلى
أخلاقه لكن رد الروائي على هذه الاعتراضات في حاشية روايته مثلاً:

"وعلى أساس هذا الحادث يقول بعض المؤرخين بأن الملكة (لادى)
كانت قد أسلمت وتزوجت محمد بن القاسم وكان اسمها الاسلامى عائشة!
ولكنى أرى أن هذه الرواية اخترعها المؤرخون الذين ينسبون قصصاً غرامية إلى كل
قائد عظيم ويرون أنه ضروري، وهناك قصة مخترعة أخرى وهي أن محمد بن
القاسم بعث بابنتين بن بنات (راجا داهر) إلى الخليفة للوليد بعد فتح (الروور)
وإن إحداها أرادت أن تنتقم من محمد بن القاسم فقالت للوليد بأن محمد بن
القاسم قد جامعها قبل إرسالها إليه فغضب الوليد وأمر بقتل محمد بن القاسم،
وحين أخبرته بأنها قد اختلقت هذه القصة لتنتقم من محمد أمر بقتلها أيضاً،
ولو كانت الملكة (لادى) قد أسلمت وأصبحت زوجة لقائد الجيش الاسلامى لم
يكن يجوز للمسلمين أن يرسلوها إلى (الروور) كسفيرة لهم وهل يجوز أو يمكن لقائد
شاب أن يرسل زوجته إلى بلاط (الروور) علماً منه بأن سكان المدينة سوف
يثورون ضدها بسبب إسلامها؟

أما القصة الثانية فرواها مجهولون بأن الوليد كان قد توفى قبل موت محمد
بن القاسم. (72)

"فلقد كانت فتوحات محمد بن القاسم تذكر قبل ذلك من أجل بناء قصة حب بينه وبين الأميرة (لادى) إلا أن نسيم حجازى لم يرضورة لهذه القصة لجذب القلوب نحو الأحداث فلم يطب له أن يشوه الحقيقة من أجل كتابة باب عن الحب والعشق؛ لذا عرض الأحداث المحققة بصورة فنية منظمة فأرتقى بالحكاية إلى أسلوب فطري تماماً".⁽⁷³⁾

ونذكر هنا بعض الروايات الأخرى:

فيكتب شاه معين الدين احمد ندوي:

"وأخذت أسيرا زوجة (راجا داهر) فاسكنها محمد بن القاسم في عزة وتزوجها باذن حجاج".⁽⁷⁴⁾

ويذكر الدكتور حميد الدين:

"وأخذت اسيرا زوجة (داهر) (رانى) في هذه المعركة وتزوجها محمد بن القاسم بإذن الحجاج".⁽⁷⁵⁾

ويقول أنوار هاشمي:

"فتزوج محمد بن القاسم بزوجة (داهر) (رانى) بإذن الحجاج".⁽⁷⁶⁾

والتي تثبت في هذه الروايات فهي مطابقة بمقولتنا المذكورة فيقول المؤرخون في زواج (رانى) مع محمد بن القاسم ولا يذكرون اسلامها- ولونحل نعلم أن سن محمد بن القاسم حينئذ ثمانى عشرة ولها ابن يقاتل في حرب (ارور) فلهذا لا نصدق هذه الرواية- ولونرى شخصية محمد بن القاسم نرد هذه الخرافات كلها ونتفق بالروائي أنه استخدمها محمد بن القاسم سفيراً كي لا يقتل اي واحد في السند ولا يفتتن الشعب السندي- ويسلم أكثر المؤرخين على هذا الرور وفرّ ابنها (ففى) أو (فوفى) أو (جوبى) من ميدان (ارور).

يكتب مير علي شير قانع مثلاً:

"وتوجه محمد بن القاسم وحاصر حصناً وأرسل رانى (لادى) لأن تخبرهم بموت (راجا داهر) لكن لم يصدقها اهل الحصن ورموها بالحجارة وقالوا: أنت مع

هؤلاء أكلة البقرة ويذكر في كتاب لما سمع ابنها بموت أبيه فرّمن الحصن إلى إخوته". (77)

ويذكر الدكتور حميد الدين في لفظه:

"لما علم محمد بن القاسم ارسل رسالة بواسطة (راني) أنه قد قتل (راجا داهر) فلا تهلکوا انفسکم فأطاعوا وفرّ (جوي) إلى (كيرج)". (78)

ويذكر شاه معين الدين احمد ندوي:

"لما علم محمد بن القاسم ارسل بها رسالة إليهم أن (راجا داهر) قد قتل. فأطيعوني ويقول يعقوبي أنهم اطاعوا وفتحوا ابواب المدينة لكن يذكر في جج نامه أنهم لم يثقوا على قولها وسبواها وبعد ايام تيقنوا على موته فأطاعوا وفرّ (جوي) إلى (كيرج)". (79)

ويقول مولانا اعجاز الحق قدوسي:

"حتى حاصر محمد بن القاسم (ارور) شديداً وقاتل معهم حتى يخافوا ويضطربوا وفرّ (جوي)". (80)

ويتفق انوار هاشمي بهذه الآراء:

"ويحكم على (ارور) ابنه الثاني (جوي) وحارب مع محمد بن القاسم لكن فرّ". (81)

وحقا أن هناك موجود في (ارور) ابنه الذي فر بعده فلذا هناك مطابقة بين المؤرخين والروائي ويفتح محمد بن القاسم المناطق حتى قد وصل إلى ملتان وحاصر حتى علم برسالة زوجته أنه قد مات حجاج ولا يذكر المؤرخين سند هذه الحادثة.

يكتب عبدالرحمن ابن خلدون:

"لما محمد بن القاسم موجود في ملتان وصل إليه خبر موت حجاج". (82)

ويقول مولانا اعجاز الحق قدوسي ر أيّاً مختلفاً.

"ويفكر محمد بن القاسم أن يتقدم بعد فتح ملتان لكن مات حجاج بن يوسف الثقفي في سنة 95هـ/713 م الذي عمه".⁽⁸³⁾

ويكتب فيض عالم صديقي:

"والآن ملتان وفي أثناء المحاصرة مات المدبرالعظيم والفتاح الكبير والبطل الجليل حجاج بن يوسف".⁽⁸⁴⁾

ويتفق المؤرخون باختلاف قليل أنه وصل خبر موت حجاج إلى محمد بن القاسم لما هو كان يحاصر ملتان.

ويجعل الروائي قصته رومانسيا ويجعل قصته مؤثرا لكن يراعى الحقائق التاريخية لكن يلزم مع بطله ولا يقلل عزمه واستقامته والعدو ينتقم منه كتب عبدالرحمن ابن خلدون في هذا الصدد:

"أرسل يزيد بن أبي كبشة محمد بن القاسم أسيراً وألقاه صالح بن عبدالرحمن في سجن واسط وأذاه مع أقارب حجاج".⁽⁸⁵⁾

ويكتب الدكتور حميد الدين:

"كان سليمان عدواً للحجاج وأقاربه فعزل محمد بن القاسم من السند وأرسل يزيد بن كبشة بدله لأن قتل حجاج أخوصالح وانتقم صالح من محمد بن القاسم لأخيه وقتل قائد الإسلام في السجن بعد أن يؤذيه شديداً".⁽⁸⁶⁾

ويكتب شاه معين الدين أحمد ندوي:

"محمد بن القاسم هو صالح وبر الذي فتح السند وترك الآثار القيمة الفاضلة وبني حكومة عادلة لكن هو ابن أخ الحجاج وعتب فعزله سليمان وعين يزيد بن أبي كبشة على السند وأرسل محمد بن القاسم إلى العراق أسيراً".⁽⁸⁷⁾

ويقول اعجاز الحق قدوسي:

"كان سليمان مخالفاً لحجاج لما صار خليفة قرر أن قتيبة بن مسلم حاكم تركستان ومحمد بن القاسم حاكم السند اللذين عينهما حجاج هما مجرمان- فعزل محمد بن القاسم وعين بدله يزيد بن أبي كبشة على السند سنة 94هـ/

714م/715م وأرسله إلى العراق مع يزيد بن أبي مهلب وقال محمد بن القاسم في ذلك الوقت".

أضاعوني وأي فتى أضاعو

ليوم كربة وسداد ثغر

لما وصل محمد بن القاسم إلى العراق ألقاه سليمان في سجن الواسط مع الثقفين وعمر هذه المدينة حجاج وأذاهم شديداً. حتى مات في السجن وعمره اثنا وعشرين سنة.

"لما علم أهل السند في وفاته حزنوا شديداً وبكوا متذكراً صفاته وخصائله الحميدة الفاتحة ونصبوا مجسمه في مدينة (كيرج)". (88)

وهناك اختلاف في اسم المدينة ويكتب الروائي "قنوج" والمورخون "كيرج".

ويكتب فيض عالم صديقي:

"عين الخليفة سليمان بن عبد الملك يزيد بن أبي كبشة كعامل السند وأرسل محمد بن القاسم إلى العراق أسيراً ويتفق المؤرخون على أنهم حزنوا بذهاب محمد بن القاسم من (ارور) وكلهم خرجوا من البيت ليودعوه بالأزهار وبعضهم سيكون ويروح فاتح السند كاسيرٍ من (ارور) ووصل هذا الخبر إلى كل السند وكلهم يأتون لزيارته وبعضهم قالوا له أن تأمرنا ندمر جيش دمشق وعامله وقائده لكن منعهم محمد بن قاسم.

وكتب بعض المؤرخين أنه قال يزيد بن أبي كبشة محمد بن القاسم أن تخرج من (ارور) وتفعل ما تريد، فأفعل بالخليفة ما يناسب لي لكن منعه محمد بن القاسم ورحل إلى دمشق أسيراً وصار مفتوناً لانتقام سليمان الذاتي". (89)

ويتفق أكثر المؤرخين على هذا التاريخ وأن كانت تعرض قليلاً إلا فيض عالم صديقي الذي هو مداح للأبطال النبيلة في التاريخ الإسلامي.

فبعث يزيد حاكماً الذي أرسل محمد بن القاسم إلى بصرة أسيراً والذي يقول الروائي على أساس رأيي على عباس حسيني:
 "تبنى الرواية في الأحداث التي سكت عنها التاريخ والتي خملت تبرزها الرواية".⁽⁹⁰⁾

وأنه ما ذكر المؤرخون من (ارور) إلى سجن الواسط فذكرها الروائي- وهل هذا ممكن أن الناس سكتوا عن سجن القائد البارز البطل للعالم الإسلامي ويذكر فيض عالم صديقي اقتراحات يزيد بن أبي كبشة ويذكر نسيم حجازي التواء موت محمد بن القاسم بمثل زيير ويبدع التجسس في الرواية ولا ينحرف من التاريخ أنه قد قتل محمد بن القاسم.

وتتفق برواية أبو الليث الصديقي.

"وهناك بحث مهم في تركيب الرواية وتذكر الأحداث في التاريخ كما هي حدثت وتذكر في الرواية كما في ذهن الروائي وفي خياله".⁽⁹¹⁾

وتنشر الرواية في زمن حركة باكستان وحرضت هذه الحركة المسلمين فضروري هنا أن تذكر هذه الأحداث التاريخية التي هي هدف ومقصد عند المسلمين فكتب نسيم حجازي هذه الرواية محمد بن القاسم وعرضها على المسلمين .

وقول على عباس حسيني أهم في هذا الباب:

"صار الروائي معلماً من (الروس) إلى (كيلى فورنيا) ويعرض الأفكار الحديثة الشريفة يهزّ بها ويدخل في داخلية الأمة يردد كما يردد الصوت في الجبال والأودية".⁽⁹²⁾

ومن الجدير بالذكر يصور الروائي نسيم حجازي مناظر الفراق بين محمد بن القاسم وزوجته (زبيدة) اذا يرحل إلى واسط وهما يعلمان فهو اللقاء الأخير في أسلوب أخذ وكذلك يصور الروائي جرجي زيدان مناظر الفراق بين عبدالله بن

الزبير وأمه (أسماء بنت أبي بكر) خلال حصار مكة المكرمة من الحجاج بن يوسف، فهو كان أيضاً اللقاء الأخير بينهما.

المصادر والحواشي

1. جرجي زيدان، الحجاج بن يوسف، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1420هـ / 1999، ص: 1.
2. المصدر نفسه، ص: 71.
3. المصدر نفسه، ص: 105.
4. الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: دار العلم للملايين، بيروت 1980م، 2/261.
5. جرجي زيدان، الحجاج بن يوسف: ص: 19.
6. الزركلي، الأعلام، 5/289.
7. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت: 356هـ)، كتاب الأغاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1975م، ص: 5/23.
8. سورة النور، الآية: 27.
9. البخاري، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري (ت: 252هـ/870م)، صحيح البخاري، الطبعة الأولى، دارالقلم بيروت، لبنان 1407هـ/1987م، ص: 9/13؛.
10. مأمون فريز جرار، خصائص القصة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار المنارة، جدة 1408هـ، ص: 179 - ؛ الرواية عند الدكتور نجيب الكيلاني: بشرى ياسمين هاشمي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، الجامعة الإسلامية العالمية، اسلام آباد، باكستان 1425هـ / 2004م، ص: 18-، في النقد الإسلامي المعاصر: الدكتور عماد الدين خليل، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت 1404هـ / 1984م، ص: 45.
11. جرجي زيدان، الحجاج بن يوسف، ص: 46.
12. شبلي نعماني، كتاب تاريخ التمدن الاسلامي، تقديم: الشيخ محمد رشيد رضا، دار المنار بمصر 1330هـ، ص: 14.
13. جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الثقافة، بيروت 1910م، ص: 4/83.
14. المصدر نفسه، ص: 2/112.
15. المصدر نفسه، ص: 2/22.
16. شبلي نعماني، كتاب تاريخ التمدن الاسلامي، ص: 32، 28.
17. www.alshirazi.com/compitations/patg/momarasat/part6/3.htm.

18. شبلي نعماني، كتاب تاريخ التمدن الاسلامي، تقديم: الشيخ محمد رشيد رضا، دار المنار بمصر 1330هـ، ص: 20-21.
19. شوقي أبو خليل، جرجي زيدان في الميزان، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق 1401هـ / 1981م، ص: 115.
20. حميد الدين، دكتور، تاريخ اسلام، فروز سنز لمثد، لاہور 1989م، ص: 304، تاريخ المسعودي: ابو الحسن بن حسين بن علي المسعودي (ت: 346هـ) ترجمه اختر فتح پوري، ايديشن اول، نفس اكيڈمي، اسٹریچن روڈ كراچی 1-1985/171. تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية: دكتور أحمد محمود السادتي، طبع القاهرة، 1959م، 1/129، اقبال و ديوان ارمغان حجاز: سمير عبدالحميد ابراهيم، الطبعة الثانية، المكتبة العلمية، ليك رود، لاهور، باكستان 1412هـ / 1992م، ص: 1، مجلة "الدراسات الإسلامية" العدد الثالث، المجلد الرابع والثلاثون، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، باكستان 1421هـ / 1999م
21. ندوي، شاه معين الدين احمد، تاريخ اسلام، نيشنل بک فاؤنڈيشن، اسلام آباد، ص: 89/2،
22. قدوسي، اعجاز الحق، سندھ کی تاريخی کہانیاں، اردو سائنس بورڈ، لاہور 1985م، ص: 39/1.
23. علي كوفي، اختر رضوي، فتح نامہ سندھ عرف چچ نامہ، سندھی ادبی بورڈ، حدر آباد 1963م، ص: 119.
24. صديقي، فيض عالم، اسلام کے نامور سپہ سالار، اسلامک بک بنک، لاہور، ص: 38، 40، شريف الدين پيرزاده، نشأة باكستان: ترجمة: عادل صلاحي، الدار السعودية للنشر و التوزيع، (بدون)، ص: 23.
25. صديقي، فيض عالم، اسلام کے نامور سپہ سالار: ص: 41، 40.
26. ابن خلدون، عبدالرحمن، تاريخ ابن خلدون، نفيس اكيڈمي، كراچی 1986م، ص: 217.
27. ندوي، شاه معين الدين احمد، تاريخ اسلام، ص: 89.
28. شيخ محمد اكرام، آب كوثر، اداره ثقافت اسلاميه، كلب روڈ، لاہور 1994م، ص: 24.
29. حميد الدين، دكتور، تاريخ اسلام، ص: 305.
30. صديقي، فيض عالم، اسلام کے نامور سپہ سالار: ص: 42.
31. قدوسي، اعجاز الحق، سندھ کی تاريخی کہانیاں، 54/1.
32. علي كوفي، اختر رضوي، فتح نامہ سندھ عرف چچ نامہ، ص: 138.
33. حميد الدين، دكتور، تاريخ اسلام، ص: 305.
34. انوار هاشمي، تاريخ پاک و ہند، كراچی بک سنٹر كراچی 1974م، ص: 28، الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين: الدكتور أحمد إدريس، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، إسلام آباد 1418هـ / 1998م، ص: 8، تاريخ العالم الإسلامي: الدكتور محمد الطيب النجار، جدة 1985م، ص: 158، الأدب العربية في شبه القارة الهندية: الدكتور زبير احمد، طبعة لاہور، ص: 5.
35. شيخ محمد اكرام، آب كوثر، ص: 24.
36. قدوسي، اعجاز الحق، سندھ کی تاريخی کہانیاں، 53/1.

37. حميد الدين، ڈاڪٽر، تاريخ اسلام، ص:305، پاڪستان ميں عربى زبان: ڈاڪٽر مظهر معين، مركز الشيخ زايد الاسلامى جامع پنجاب لاہور، پاڪستان 1423ھ/2003م، ص: 74.
38. ندوي، شاه معين الدين احمد، تاريخ اسلام، ص:89،90.
39. على كوفي، اختر رضوى، فتح نامہ سندھ عرف چچ نامہ، ص: 138.
40. شيخ محمد اكرام، آب كوثر، ص: 24.
41. انوار هاشمي، تاريخ پاك و ہند، ص:28.
42. قدوسي، اعجاز الحق، سندھ كى تاريخى کہانیاں، 53/1.
43. سيد سلیمان ندوى، عربوں كى جہاز رانى، اردو اكيڈمى سندھ كراچى 1981م، ص:42.
44. سيد على شير قانع، تحفة الكرام، ص:35.
45. على كوفي، اختر رضوى، فتح نامہ سندھ عرف چچ نامہ، ص: 132.
46. صديقى، فيض عالم، اسلام كے نامور سپہ سالار، ص: 43.
47. المصدر نفسه، ص:54.
48. قدوسي، اعجاز الحق، سندھ كى تاريخى کہانیاں، 55/1.
49. سيد على شير قانع، تحفة الكرام، ص:35.
50. قدوسي، اعجاز الحق، سندھ كى تاريخى کہانیاں، 98،97/1.
51. حميد الدين، ڈاڪٽر، تاريخ اسلام، ص:306.
52. انوار هاشمي، تاريخ پاك و ہند، ص:14.
53. سيد على شير قانع، تحفة الكرام، ص:39.
54. قدوسي، اعجاز الحق، سندھ كى تاريخى کہانیاں، ص: 58/1.
55. المصدر نفسه، ص:61.
56. المصدر نفسه، ص:69.
57. صديقى، فيض عالم، اسلام كے نامور سپہ سالار، ص: 43.
58. المصدر نفسه، ص:23.
59. شفيق بريلوى، محمد بن قاسم سے لے كر محمد على جناح تك، نفيس اكيڈمى، كراچى 1980م، ص: 40.
60. قدوسي، اعجاز الحق، سندھ كى تاريخى کہانیاں، 70/1.
61. حميد الدين، ڈاڪٽر، تاريخ اسلام، ص:306.
62. ندوي، شاه معين الدين احمد، تاريخ اسلام، ص:92.
63. انوار هاشمي، تاريخ پاك و ہند، ص:29.
64. سيد على شير قانع، تحفة الكرام، ص: 2.
65. قدوسي، اعجاز الحق، سندھ كى تاريخى کہانیاں، 29/ 1.

- .66 ابن خلدون، عبدالرحمن، تاريخ ابن خلدون، 218/2.
- .67 حميد الدين، ذاكتر، تاريخ اسلام، ص:306.
- .68 صديقي، فيض عالم، اسلام کے نامور سپہ سالار، ص:44.
- .69 ندوی، شاہ معین الدین احمد، تاريخ اسلام، ص:92.
- .70 انوار ہاشمي، تاريخ پاک و ہند، ص:28.
- .71 سيد علي شير قانع، تحفة الكرام، ص:35.
- .72 نسيم حجازي، محمد بن قاسم، جہانگیر بک ڈپو، اردو بازار لاہور، ص:356.
- .73 عبدالغني، پروفيسر، اسلوب و تنقيد، عاطف بک ڈپو، مٹھا محل دہلی 1989م، ص:240.
- .74 ندوی، شاہ معین الدین احمد، تاريخ اسلام، ص:94.
- .75 حميد الدين، ذاكتر، تاريخ اسلام، ص:307.
- .76 انوار ہاشمي، تاريخ پاک و ہند، ص:30.
- .77 سيد علي شير قانع، تحفة الكرام، سندھی ادبی بورڈ حیدر آباد، ص:21، 22.
- .78 حميد الدين، ذاكتر، تاريخ اسلام، ص:307.
- .79 ندوی، شاہ معین الدین احمد، تاريخ اسلام، ص:94.
- .80 قدوسي، اعجاز الحق، سندھ کی تاريخی کہانیاں، 80/1.
- .81 انوار ہاشمي، تاريخ پاک و ہند، ص:30.
- .82 ابن خلدون، عبدالرحمن، تاريخ ابن خلدون، 229/2.
- .83 قدوسي، اعجاز الحق، سندھ کی تاريخی کہانیاں، 83/1.
- .84 صديقي، فيض عالم، اسلام کے نامور سپہ سالار، ص:46.
- .85 ابن خلدون، عبدالرحمن، تاريخ ابن خلدون، 229/2.
- .86 ندوی، شاہ معین الدین احمد، تاريخ اسلام، ص:115.
- .87 قدوسي، اعجاز الحق، سندھ کی تاريخی کہانیاں، 83/1.
- .88 قدوسي، اعجاز الحق، سندھ کی تاريخی کہانیاں، 93/1.
- .89 صديقي، فيض عالم، اسلام کے نامور سپہ سالار، ص:36.
- .90 علي عباس حسيني، اردو ناول کی تاريخ اور تنقيد، ایجوکیشن بک ہاؤس علی گڑھ 1994م، ص:53.
- .91 ابو اللث صديقي، آج کا اردو ادب، فیروز سنز لاہور، ص:207.
- .92 علي عباس حسيني، اردو ناول کی تاريخ اور تنقيد، ص:54.